

أحب توتر النظرات
أحب أفريقيا كلها وهي تنقض لتقهر الشمس .

هناك أيضاً ، في الشعر الأفريقي تيار واضح غلاب ، هو تيار الاحتجاج على امتهان المستعمر لأفريقيا وثورة الأفريقي على هذه المهانة ، وتوكيده لإيمانه العميق بالانتظار . والشعر الأفريقي يغصُّ بالقصائد التي تندرج في هذا التيار ، ولكننا سنختار منها قصيدة بعنوان الشهداء لشاعر غيني هو كونتيه سيدوتيداني .

ونحن نرى أن هذه القصيدة صادقة لأنها أساساً غير خطابية وغير طنانة ، على خلاف الكثرة الكثيرة من القصائد الأفريقية التي تعالج المواضيع الوطنية والقومية ، والقصيدة تمتاز بصحو اللغة ومن ثمَّ فهي أفعال وأقدر على أسر الاهتمام . ولكن صحة القصيدة تتأني أيضاً من غناها اللوني إن صح التعبير ، ونضوج نبرتها يتأني من تساوق وتبادل محكم ، لعله فطري ، ولعله مقصود بين النغمة العالية والنغمة الهادفة مما يحقق توازناً صعباً في العادة ، وليس في القصيدة إشارة واحدة إلى النضال القومي والتحرري . إن القصيدة محكومة ، مسيطرٌ عليها ، ونغمتها تنخفض ، عن تعمد ، إلى القاموس الشعري ، ولا ترتفع إلى الضجيج السياسي الإثاري الذي يتهدده خطر الابتذال والريثاء من فرط الاستغلال وإساءة الاستخدام . إن مضمون القصيدة يبلغنا بتعاقب الصور الشعرية التي تبتعث فيها ألوان متضادة ، وتتوازن مع القيم المتناقضة للصخر الصلد والجسد الهش الرقيق ، ومن ثمَّ